ابن تيمية والمغول

تاريخ لم يُقرأ

محمد براء ياسين

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
المقدمة	١١
القسم الأول: العرض والتحليل	١٩
الباب الأول: ابن تيمية ومغول إيران في عهد قازان	٢١
الفصل الأول: مُقدِّمَات تجدُّد الصراع مع مملكة إيران	٢٧
أولًا: قصة الأمير نوروز الشهيد (المشروع الإصلاحي الموؤود في مملكة إيران)	٢٩
ثانيًا: مغول إيران: الخارجون عن شرائع الإسلام	٣٧
ثالثًا: الأرمن: أخبث عدوٍّ للإسلام	٤٥
رابعًا: اعتداءات ماردين (ذريعة الغزاة لاحتلال الشام)	٤٩
خامسًا: النزاعات السلطوية بين المماليك	٥١
الفصل الثاني: قازان يغزو الشام: (احتلال دمشق سنة ٦٩٩هـ)	٥٥
أولًا: معركة وادي الخزندار وانتصار الغزاة	٥٧
ثانيًا: دمشق تحت الاحتلال	٦١
ثالثًا: ابن تيمية يخاطب الغزاة: (لقاء ابن تيمية بقازان: التفاصيل والروايات)	٦٥
رابعًا: شهداء المقادسة.. ومجازر الغزاة بصالحية دمشق	٧١
خامسًا: مرة أخرىٰ.. ابن تيمية يخاطب الغزاة	٧٧
سادسًا: قلعة دمشق.. من الحصار إلىٰ الانتصار	٧٩
سابعًا: ومرة ثالثة.. ابن تيمية يخاطب الغُزَاة	٨٣

ثامنًا: جيش الاحتلال من الداخل بمنظار ابن تيمية	٨٧
تاسعًا: لماذا خاطَبَ ابن تيمية الغُزَاة؟	٩١
عاشرًا: انسحاب الغزاة وعودة دمشق إلىٰ الدولة المملوكية	٩٣
حادي عشر: الهزيمة والاحتلال.. بقلم ابن تيمية	٩٥
الفصل الثالث: ما بعد الاحتلال: (٦٩٩هـ-٧٠٠هـ)	٩٩
أولًا: ابن تيمية في دمشق حاثًّا علىٰ الرباط ومحتسبًا	١٠١
ثانيًا: الموالون للغزاة بدمشق.. بمنظار ابن تيمية	١٠٣
ثالثًا: ابن تيمية في الكِسْروان.. مجاهدًا في سبيل الله	١٠٧
رابعًا: غزو العدو.. المُحفِّزَات والفوائد (رسالة ابن تيمية إلىٰ السلطان الناصر)	١٠٩
الفصل الرابع: معركة الأحزاب في الشام! (حملة قازان علىٰ بلاد الشام سنة ٧٠٠هـ)	١١٧
أولًا: تحرك الغزاة	١١٩
ثانيًا: موقف العسكر المصري الملتبس.. وهلع الشام	١٢٣
ثالثًا: ابن تيمية مثبتًا الجيش الشامي	١٣٣
رابعًا: ابن تيمية في القاهرة مُستَصْرِخًا بالسلطان والأعيان لحماية الشام	١٣٥
خامسًا: (رجوع قازان إلىٰ إيران)	١٤١
سادسًا: مناوشات فلول الغُزَاة في حماة.. واستعداد ابن تيمية للمشاركة	١٤٥
سابعًا: معركة الأحزاب في الشام.. بقلم ابن تيمية	١٤٩
الفصل الخامس: ما بين حملتي قازان الثانية والثالثة (٧٠٠-٧٠٢هـ)	١٥١
أولًا: إقامة الشريعة سبيل النصر (فتيا ابن تيمية في كنائس القاهرة)	١٥٣
ثانيًا: رسالة ابن تيمية إلىٰ ملك قبرص	١٦٥
ثالثًا: المراسلات بين الناصر وقازان	١٦٩

الفصل السادس: الهزيمة النهائية لقازان (وقعة شقحب سنة ٧٠٢هـ)	١٧١
أولًا: تحرك الغزاة.. واستعداد المسلمين للقاء	١٧٣
ثانيًا: ابن تيمية مُنسِّقًا بين أمراء دمشق وأمراء المناطق الشمالية من الشام	١٧٧
ثالثًا: عودة الهلع للشام.. وابن تيمية يحث الناس علىٰ لزوم دمشق	١٧٩
رابعًا: ابن تيمية مع الجيش الإسلامي.. ناصحًا ومُثَبِّتًا	١٨١
خامسًا: ابن تيمية في شقحب.. مجاهدًا في سبيل الله	١٨٥
سادسًا: النصر العزيز.. بقلم ابن تيمية	١٨٩
سابعًا: هلاك قازان	١٩١
الباب الثاني: ابن تيمية ومغول إيران في عهد خربندا	١٩٥
الفصل الأول: واقعة ابن تيمية المشهورة في جبل كِسْروان: (فتح جبل كِسْروان سنة ٧٠٥هـ)	٢٠١
أولًا: أهل كِسْروان في معاونة التتار وأذىٰ المسلمين	٢٠٣
ثانيًا: ابن تيمية يُفتِي ولاة الأمور بمشروعية الغزوة	٢١٣
ثالثًا: ابن تيمية يقيم الحجة علىٰ الكِسْروانيين قبل الغزوة	٢١٥
رابعًا: ابن تيمية في جبل كِسْروان.. مجاهدًا في سبيل الله	٢١٧
خامسًا: الفتح المبين.. بقلم ابن تيمية	٢٢٥
الفصل الثاني: حملة مغول إيران علىٰ گيلان ٧٠٧هـ	٢٢٧
أولًا: بين أهل گيلان.. وابن تيمية	٢٢٩
ثانيًا: حملة خربندا علىٰ گيلان ٧٠٧هـ	٢٣٣
الفصل الثالث: خربندا علىٰ خطىٰ أخيه قازان (حملة التتار علىٰ بلاد الشام سنة ٧١٢هـ)	٢٣٧
أولًا: إرهاصات الحملة (السلطنة الثالثة للناصر محمد.. والأمراء الفارون)	٢٣٩

ثانيًا: قلعة الرحبة.. من الحصار إلىٰ الانتصار	٢٤٩
ثالثًا: ابن تيمية مُجِيبًا عن شبهات مانعي قتال الغزاة	٢٥١
رابعًا: تحرك الجيش المصري إلىٰ الشام.. ومشاركة ابن تيمية	٢٥٥
الفصل الرابع: فتح مَلَطْيَة سنة ٧١٥هـ	٢٥٧
أولًا: مَلَطْيَة.. من الحصار إلىٰ الانكسار	٢٥٩
ثانيًا: ابن تيمية مُجِيبًا عن الشبهات حول غزوة مَلَطْيَة	٢٦١
الفصل الخامس: الرافضة في مملكة إيران	٢٦٥
أولًا: (الرافضة والتتار.. بمنظار ابن تيمية)	٢٦٧
ثانيًا: «منهاج السنة النبوية» (جولة ابن تيمية العلمية مع علماء البلاط الرافضة)	٢٧٣
ثالثًا: حملة الدلقندي الفاشلة لاحتلال الحجاز.. وهلاك خربندا	٢٧٥
رابعًا: عهد أبي سعيد.. المُصالحة وإبطال الرفض	٢٧٩
القسم الثاني: المناقشات	٢٨٥
أولًا: كشف ما وقع لبعض مؤرخي التتار والمستشرقين والشيعة من أخطاء في بعض موضوعات البحث	٢٨٧
ثانيًا: نقض دعوىٰ تقلب ابن تيمية في موقفه من الرافضة	٢٩٧
الملحق: «فتيا في قتال التتار»: لشيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ	٣٢٩
قائمة المراجع	٣٤٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ نبينا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن معاني القرآن العظيم لما دارت علىٰ ثلاثة أنواع: التوحيد، والأحكام، والقصص؛ صحَّ أن يقال: القصص ثلث القرآن، ثم إن الله تعالىٰ أرشدنا إلىٰ النظر في تلك القصص بقصد الاعتبار والاقتداء والاهتداء، كما دلَّ علىٰ ذلك كتاب الله تعالىٰ في مواضع عديدة، منها قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالىٰ بعد أن ذكر عددًا من أنبيائه عليهم وعلىٰ نبينا صلوات الله وسلامه: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولذا كان علم التاريخ علمًا شريفًا جليلًا، لكونه مُوصِلًا إلىٰ ذلكم المقصد، وفي هذا يقول ابن خلدون: (اعلم أنَّ فنَّ التّاريخ فنٌّ عزيز المذهب، جمُّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا علىٰ أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتَّىٰ تتمَّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدِّين والدُّنيا)[1].

وقال الصلاح الصفدي: (وأنا أرىٰ التأريخ والترجمة معادًا ثانيًا في المعنىٰ لا في الوجود، ونشرًا أوَّلَ قبل نشر الرفات، إلا أنها لم يفض عنها ختم اللحود)[2].

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص٩).

(٢) «أعيان العصر وأعوان النصر» (١/ ٣٧).

وقال شمس الدين الباعوني في مقدمة منظومته (تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء):

وَبَـعْـدُ، فَـالـتَّـارِيـخُ عِـلْـمٌ شَـرَفُـهْ
عَـالِـيَـةٌ بَـيْـنَ الْأَنَـامِ غُـرَفُـهْ
صَـاحِـبُـهُ يُـخْـبِـرُ عَـمَّـا قَـدْ مَضَـىٰ
وَلِـمَـجَـالِـسِ الـمُـلُـوْكِ يُـرْتَـضَـىٰ
وَفِـيـهِ مَـا فِـيـهِ مِـنَ الـمَـنـافِـعِ
حَـتَّـىٰ لَـقَـدْ قَـالَ الْإِمَـامُ الـشَّـافِـعِـيْ
فِـي خَـبَـرٍ قَـدْ صَـحَّ عَـنْـهُ نَـقْـلُـهُ:
(مَـنْ حَـفِـظَ الـتَّـارِيـخَ زَادَ عَـقْـلُـهُ)
وَهْـوَ كَـلَامٌ ظَـاهِـرٌ لَا شَـكَّ فِـيْ
صِـحَّـتِـهِ، وَسِـرُّهِ غَـيْـرُ خَـفِـيْ

وقال محمد رشيد رضا: (ومعرفة التاريخ وتقويم البلدان هي التي تودع حب الأمة في القلب، وتبعث فيه روح الغيرة)[1].

وقال محمد كرد علي: (والتاريخ ربيب الحرية، لا يتصرف علىٰ هوىٰ من يكتبه ويقرؤه، ولا علىٰ أذواق أهل العصر وأهوائهم، وما دام موضوعُه: الاعتبار بالخالي لمعرفة الحالي والآتي؛ فهو جدير بأن يُتحرَّىٰ فيه الحق، ولا يدون سواه)[2].

(١) «مجلة المنار» المجلد الثامن.
(٢) «خطط الشام» (١/ ٤).

وهذه دراسة سمَّيتها: (**ابن تيمية والمغول .. تاريخ لم يقرأ**)، وهي لا تخرج في غاياتها العامَّة عن تلك المقاصد والغايات التي دلَّت عليها النُّقُول آنفة الذكر.

قد اشتملت هذه الدراسة -بعد هذه المقدمة- علىٰ قسمين، وملحق:

القسم الأول: قسم العرض والتحليل:

ويشتمل علىٰ بابين:

الباب الأول بعنوان: ابن تيمية ومغول إيران في عهد قازان، ويشتمل علىٰ ستة فصول:

- الفصل الأول: مُقدِّمَات تجدُّد الصراع مع مملكة إيران.
- الفصل الثاني: قازان يغزو الشام (احتلال دمشق سنة ٦٩٩هـ).
- الفصل الثالث: ما بعد الاحتلال.. (٦٩٩هـ-٧٠٠هـ).
- الفصل الرابع: معركة الأحزاب في الشام (حملة قازان علىٰ بلاد الشام سنة ٧٠٠هـ).
- الفصل الخامس: ما بين حملتي قازان الثانية والثالثة.. (٧٠٠هـ-٧٠٢هـ).
- الفصل السادس: الهزيمة النهائية لقازان (وقعة شقحب سنة ٧٠٢هـ).

والباب الثاني بعنوان: ابن تيمية ومغول إيران في عهد خربندا، ويشتمل علىٰ خمسة فصول:

- الفصل الأول: واقعة ابن تيمية المشهورة في جبل كِسْروان (فتح جبل كِسْروان سنة ٧٠٥هـ).

- الفصل الثاني: حملة مغول إيران علىٰ گيلان ٧٠٧هـ.
- الفصل الثالث: خربندا علىٰ خطىٰ أخيه قازان.. (حملة التتار علىٰ بلاد الشام سنة ٧١٢هـ).
- الفصل الرابع: حملة المماليك علىٰ مَلَطْيَة سنة ٧١٥هـ.
- الفصل الخامس: الرافضة في مملكة إيران.

وكان **المصدر الأول في الأهمية** لهذا القسم من الكتاب هو ما دوَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ بنفسه، إما في المذكرات الخاصة التي كتبها بشأن بعض الأحداث، كما كتبه بشأن حملة التتار سنة ٧٠٠هـ، وإما في مراسلاته، كرسالتيه للسلطان الناصر، بشأن التصدي للتتار سنة ٦٩٩هـ، وبشأن فتح كسروان سنة ٧٠٥هـ، وإما في فتاويه، كفتواه الطويلة في شأن التتار، وإما فيما يذكره عن نفسه أو عن الأحداث المحيطة به استطرادًا في بعض كُتبه، ككلامه الذي جاء في شأن معركة وادي الخزندار، ومعركة شقحب في كتابه (الرد علىٰ البكري).

ثم **المصدر الثاني في الأهمية** ما دوَّنه مؤرخ الشام الإمام علم الدين البِرزالي رحمه الله تعالىٰ، ونقف علىٰ ما دوَّنه الآن إما في تاريخه المطبوع (المُقتفي علىٰ الروضتين)، وإما فيما ينقله مؤرخو العصر المملوكي عنه[1]، وإن لم يكن مُضمَّنًا في المطبوع.

---

(١) كاليونيني وابن الجزري والذهبي والنويري، ولابن كثير رحمه الله تعالى -في الجزء المتعلق بالأحداث المسطورة في هذا الكتاب- في «البداية والنهاية» اعتمادٌ رئيس على كتاب البرزالي، وهو لا يحافظ على عبارة البرزالي -كابن عبد الهادي في «العقود الدرية»-، بل يعيد صياغة كلامه في العديد من المواضع، وقد يقع له وهم في تأدية المعنى، يظهر بالمقارنة بين كلاميهما في الموضع المُعيَّن، غير أن فيه إضافاتٍ لفظية أو معنوية يُبرز فيها دور ابن تيمية.

وأهم الكتب المفردة في سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية هو كتاب (العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) للإمام شمس الدين ابن عبد الهادي رحمه الله تعالىٰ، وتأتي أهميَّتُه من جهة اعتماده اعتمادًا كبيرًا فيما جمَعَه علىٰ المَصدرين آنفَي الذكر، وإن لم يشمل ما جاء فيهما، وإن كان فيه زيادات علىٰ ما يرد فيهما.

أما كلام ابن القيم المتعلق بأي موقف أو حدث مما تناوله هذا الكتاب؛ فهو مما حرصت علىٰ إيراده، وإن كان قليلًا[1].

وقد رجعت بعد ذلك إلىٰ كتب متعددة من كتب التاريخ أو التراجم، بحسب ما يلائم كُلَّ موضع مما دونه العلماء أو الكُتَّاب أو الأمراء في العصر المملوكي، من الشاميين كاليونيني، وابن الجزري[2]، والذهبي[3]، وابن كثير، وابن فضل الله، والصفدي، وابن الوردي، وملك حماة الملك المؤيد[4]، أو المصريين كالنويري، والأمير بيبرس الداودار، واليوسفي[5]، وابن أيبك

(١) كانت صحبة ابن القيم لابن تيمية متأخرة، بعد رجوعه من مصر سنة ٧١٢هـ، ولهذا فإنه لما تحدث عن فراسة شيخه في بعض الوقائع في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٩٠) قال: (وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته).

(٢) وكان النقل عنه قليلاً، لكون أكثر السنوات التي تناول هذا الكتاب أحداثها لا يغطيها الجزء المطبوع منه.

(٣) سواء في تاريخه «تاريخ الإسلام» -الذي ينتهي بسنة ٧٠٠هـ، أي في أول السنوات التي تناول هذا الكتاب أحداثها-، أو «دول الإسلام»، أو «العبر» أو «الدرة اليتيمية في السيرة التيمية».

(٤) له ميزة في التأريخ للأحداث التي كانت تجري في شمال الدولة المملوكية، لوجوده هناك، ومما امتاز به تأريخه لمشاركته في عدد من الأحداث بنفسه، كغزوات المماليك على بلاد الأرمن.

(٥) لتاريخ اليوسفي المسمى «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر» ميزة خاصة، حيث كنت أجد لديه من التفاصيل مما ينقله عنه البدر العيني في نقول مطولة تارة أو مختصرة تارة في تاريخه المسمى «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» ما لا أجد عند أحد غيره، والكتاب أحد مراجع المقريزي في «خططه»، والمطبوع منه جزء يسير. قال ابن حجر في وصفه في «الدرر الكامنة» في الترجمة (٢٣٨٤): (وأفاد فيه كثيرًا من الوقائع والتراجم التي يحكيها عن مشاهدة، وهو كثير التحري في النقل، ما يتحققه ينقله، وما لا؛ يضيفه إلى قائله، وربما تبرأ من عهدته).

الداوداري[1]، أو من الإيرانيين كرشيد الدولة الهمذاني[2].

أما القسم الثاني من الكتاب فهو في المناقشات، وقد تضمن بندين:

الأول: ناقشت فيه كلام بعض مؤرخي التتار والمستشرقين والشيعة في خمسة موضوعات متفرقة من الموضوعات التي بُحثت في القسم الأول، فناقشت كلام عطا ملك الجويني مؤرخ التتار في الثناء علىٰ الياسا، وناقشت المستشرقة الألمانية دوروتيا كرافولسكي في نسبتها الثناء علىٰ الياسا للمؤرخ القاضي ابن فضل الله العمري، وناقشت قولًا لعدد من المستشرقين منهم الفرنسي شبولر والألماني بروكلمان بأن قازان عمل بالشريعة الإسلامية، وناقشت رشيد الدولة وابن الفوطي من مؤرخي التتار في إهمالهم دور نوروز الشهيد في تحطيم الأصنام، ثم ناقشت بعض الرافضة المعاصرين -وهو الشهاب المرعشي النجفي- في ذمه أهل السنة لتسميتهم ملك التتار خربندا بهذا الاسم.

وأما **البند الثاني** فهو بعنوان (نقض دعوىٰ تقلب ابن تيمية في موقفه من الرافضة)، وقد تضمن مناقشة مطولة لكتاب (حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوىٰ ابن تيمية) لمحمد جمال باروت.

أما الملحق فيتضمن تحقيقًا لإحدىٰ فتاوىٰ ابن تيمية في التتار، وستجدها مُقدَّمًا لها بما يُقدَّم له عادةً في التحقيقات، من التعريف بالنسخ الخطية، وتاريخ النسخة، وطبعاتها، ومنهج التحقيق.

هذا، وأسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئه، فإنه -تعالىٰ- أكرم من سئل، وأوسع من أعطىٰ.

---

(١) هو أحد أبناء أمراء المماليك، ويعتمد أحيانًا على تاريخ اليونيني.

(٢) اعتمدت على النسخة المترجمة عن الفارسية، وتاريخه مفيد في معرفة تصوير الجانب المغولي للأحداث، وقد ناقشت موضعًا منه في القسم الثاني من هذا الكتاب.